رغم عدم تدينه الذي لا تفوته مناسبة للاعلان عنه. ولا غرابة في ذلك ، اذ أن تلميذ هرتزل يستطيع أن يجوب الارض كلها دون ان يجد رابطا آخر يربط يهوديا اميركيا الى يهودي يمني او يهوديا بولنديا الى يهودي مغربي . فالكتب المقدسة هي كل ثقافة اليهود **طالما يريد ايديولوجيو الصهيونية عـــزل اليهود عن بقية الانسانية** . فعندما يتحدث بـــن جوريون عن يهودي من الدياسبورا يميز بين حياة الشخص كيهودي وحياته كمواطن يعيش في بلد ما. ويرى أن اليهودي يبقى دائما مزدوج الحيـــاة وناقصها طالما لم « يرجع الى ارض الميعاد » . اما الاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه الفـــرد « اليهودي » فهو الفناء نفســـه في نظـــر بن جوريون .

واضـــح ان الكتب المقدسة ليست الا أداة يستعملها الصهاينة بدراية وحنكة لتعميم وعـــي زائف لمشاكل الانسانية بصفة عامة ومشاكـــل الاقليات اليهودية في البلدان المختلفـــة بصفـــة خاصة . وبن جوريون هو في نفس الوقت جـــلاد وضحية هذا الوعي الزائف ، ضحية الايديولوجيا السياسية التي ، مثل الانفصام النفسي ، ليست الا نتيجة لفقدان السيطرة الجدلية على الواقع .

عندما يصبح الانسان أسير تفكير لا عقلاني من هذا النوع فانه لا يتورع عن أي نوع من الكذب والتضليل . كل وسيلة تصبح صالحة لتحقيـــق الغاية . فالايديولوجيا الدينية ــ القومية المتهافتة عندما تنزل الى الارض تصبح مجرد تزوير للوقائع والحقائق التاريخية . وعندما تتسلـــح هـــذه الايديولوجيا تصبح مجرد عدوان . ويرجع هـــذا العدوان بدوره الى مصدره الايديولوجي باحثا عن تبرير لنفسه .

وفيما يلي نماذج لهذا التزوير اللاواعي أحيانا والمتعمد في أغلب الاحيان : « في سنة ١٩٠٦ كانت يافا الباب الرئيسي لدخول فلسطين عندما يأتي المؤمن من الغرب . وبما أن البلاد نفسها كانت احدى نواحي الارض المجهولة ، كـــان بابها ، بالطبع ، متواضعا ! [...] كان الوافد عليها يرى باعة تركيين ، فرنسيين ، وانجليز ، تجارا ارمنيين ، بعض عمال الموانىء ، وبعض **المتسولين العرب** ... » (ص ٥٧) .

« كانت القدس بلدة بائسة تتعاقب فيها الاكواخ القذرة والاثار المتداعية للسقوط . كانت ارض **ما يسمى فلسطين** تكاد تكون جدباء في كل اطرافها . لم يكن فيها من السكان سوى بعض القبائـــل الرحل التي تجوب المناطق الاكثر فقرا في الشرق الاوسط دون احترام للحدود الموضوعية ... » (ص ١٢٩) .

ومن هذا يستنتج بن جوريون ان الفلسطينيين العرب لم يحبوا هذا البلد ابدا وانه « منذ نهاية حكم اليهود لهذا البلد لم ينجح اي شعب آخر في فعل شيء يذكر فيه . لست ادلي هنا بتصريحات « وطنية » او ميتافيزيقية ، اني اشير الى واقع ملموس . لم تكن اسرائيل دولة حقيقية ، مستقلة وقادرة على البقاء الا بين ايدي يهودية » (ص ١٣١) . « كلما حكم اليهود اسرائيل طفحت الارض بالحياة وكلما اخرجوا منها بقيت جدباء » (ص ١٣٢) . وعندما ينطلق بن جوريون من هـــذه « الحقيقة » فانه لا بد ان يصـــل الـــى ان الفلسطينيين ليس لهم ادنى حق على هذه الارض. « انني واع كل الوعي بالحب الذي يكنه كـــل انسان ازاء بلده الخاص . لكن عندما تعلن الدول العربية والوطنيون الفلسطينيون المزعومون بعد عشرين عاما أن السكان العرب كانوا دائمـــا يعتبرون فلسطين كوطن لهم وأن لهم حقوقا عليها كوطن ، فان هذا الادعاء لا يمكن ان يؤخذ مأخذ جد [...] . ان من يريد حججا اضافية على انعدام العاطفة القومية الحقيقيـــة [عنـــد الفلسطينيين] فان التاريخ الحربي كفيل بذلك [...] ان الجندي اليهودي يشعر انه مسؤول على الدفاع عن هذا البلد الذي يعلم انه الوطن الوحيد الذي يمكن ان يكون له. لكن الفلسطيني لا يظهر اي عاطفة من هذا النوع . ولم يشعر بذلك؟ انه يشعر بنفس الراحة سواء في الاردن ، في لبنان او في غير ذلك من البقاع . » (ص ١٣٦).

ولنستمع الى بن جوريون يتحدث عما حققـــه « **الرواد اليهود** » (وهـــو يقـــارنهم بـــالرواد الاوروبيين الذين اكتشفوا اميركا) في هذا البلد المهجور ، الموبوء ، القفر . علاوة على احيـــاء هذا القفار فان الرواد اليهود قد خلقوا بواسطـــة الكيبوتزات « أشكالا ثورية للحياة الجماعية » . ويستطيع بن جوريون ان يقول « دون ان يتهم بالمبالغة ان التجربة الاجتماعية التي يمثلها الكيبوتز جديرة بأن تكون مثالا يحتذى به في بلدان عديدة. اذ أنها المثال الوحيـــد الموجود اليوم لشكـــل ديموقراطي للاشتراكية . حيث تستعمل احـــدث